الباب العاشر

ليس دفاعًا عن مبارك

(محاكمة مبارك)

محاكمة القرن

تابع الملايين من سكان الكرة الأرضية على شاشات التلفاز محاكمة الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك، وقد اختلفت الرؤية بين مؤيد للمحاكمة وبين معارض وبين من هو سعيد ومن هو مندهش ومن هو غاضب، والحقيقة أن المحاكمة وهى تعتبر محاكمة القرن حيث لم تشهد المحاكم خصوصًا فى دولنا العربية أى محاكمة لرئيس سابق حيى يُرزق، فقد أعتدنا أن نحاكم رؤساءنا وهم ميتون بعد أن نكون قد أيدناهم وهم أحياءٌ يُرزقون .

إننا جميعًا (كمصريين) لا ننكر أن حال مصر فى عهد مبارك قد تردى كثيرًا وأنه أى مبارك يتحمل الجزء الأكبر من المسئولية لهذا التردى، وكذلك ما تم فى العشرين سنة الأخيرة من حكم مبارك من نهب لثروات مصر ومن تعدى على حرمات الشعب المصرى بسبب أمن مبارك وأمن رئاسة الجمهورية وكذلك ما زاد وغطى على الأحداث وهو مشروع التوريث لإبنه جمال وما قابل هذا المشروع من تسيب فى الحكم والتفات رجال الأعمال على كعكة مصر والتهامها بحجة مساندة جمال مبارك، وكعادة الشعب المصرى فإنه يصبر كثيرًا كثيرًا ولكنه يهب هبة قوية لا تُبقى ولا تذر، وهذا ما تم فى الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ والذى أصبح يُسمى بثورة ٢٥ يناير، وأول نتيجة لهذه الثورة هو سقوط حكم مبارك وآل مبارك وانتهاء مشروع التوريث وهما أمران كانا من الأحلام وأصبحا من الحقائق الملموسة، والباقى قادم لا محالة وهكذا تنتهى حقبة من تاريخ مصر سوف يقف عندها التاريخ طويلاً مشيرًا إلى أن إرادة الشعوب أقوى من كل شيىء،

ونعود إلى محاكمة مبارك ومطالبة ثوار الخامس والعشرين من يناير ومعهم الكثيرين من أغلبية الشعب المصرى بمحاكمته بل وطالبوا بإعدامه، وهنا نقول لماذا يُحاكم مبارك؟.

هل يُحاكم على سنوات حكمه التى طالت؟ أم يُحاكم على الاموال التى سُرقت بواسطته وبواسطة اتباعه واصدقائه؟ أم يُحاكم على دماء شهداء ثورة الخامس والعشرين من يناير الذين زاد عددهم على الألف؟ أم يُحاكم على أنه أطلق النيران على المتظاهرين؟.

وهنا نقول أننا لا نبرئه من كل تلك الاتهامات وأن القضاء سوف يصدر حكمه فى النهاية، ولكن لنلقى نظرة على مصر وحكامها فى الستين عامًا الماضي أى منذ عام ١٩٥١ إلى عام ٢٠١١ ونحاول أن نحلل موقف هؤلاء الحكام من اتهامات مبارك وهل تم محاكمتهم مثل مبارك أم لا.

وأول الحكام سنرى الملك فاروق ملك مصر من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٥٢ (١٥ عامًا فى الحكم) وكيف أن الفساد انتشر فى مصر وأن المواطن المصرى كان يعامل مثل العبيد فى بلده وكذلك فى عهد فاروق تم الفتك بكل أنواع المقاومة المصرية والزج بهم فى السجون، وتم قتل المرشد العام للإخوان الشيخ حسن البنا وكذلك تم إطلاق النار على المتظاهرين من المصرين واستشهد الآلاف من المصريين وراحت دمائهم هدرًا، وفى النهاية لم تتم محاكمة فاروق بل تم القاء التحية العسكرية له وهو يغادر مصر إلى أوروبا.

وفى الصورة الثانية للتحليل نجد الرئيس عبد الناصر والذى حكم مصر من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٧٠ (١٧ عامًا) وكيف أنه بدأ حكمه بسجن الرئيس محمد نجيب مدى الحياة ثم بعد ذلك أكمل حكمه

بأكبر عملية اعتقال لجماعة الإخوان المسلمين بعد فشل محاولة إغتياله عن طريقهم، وبعد ذلك أدخل مصر فى حرب اليمن حيث تم استشهاد ما يزيد على العشرة آلاف شهيد فى اليمن بدون سبب وأكمل حكمه بأكبر هزيمة للعرب والمسلمين حيث كانت نكسة يونيو والتى سالت دماء أبناء مصر على تراب سيناء بالآلاف فى حرب كانت بلا استعداد ولا هدف وضاعت على مصر مئات الملايين من الأموال بسبب حرب يونيو ٦٧ وغلق قناة السويس، وقائمة الخسائر فى عهد عبد الناصر طويلة وفى النهاية لم يحاكمه أحد بل عندما مات أكرمناه ودفناه فى مسجد وقلنا هتافنا الشهير (لا إله إلا الله عبد الناصر حبيب الله).

والتحليل الثالث هو عهد الرئيس السادات والذى بدأ حكمه من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٨١ (١١ عامًا) وكيف أنه بدأ عصر الانفتاح وما حدث فيه من نهب وسرقات لثروة مصر وكيف أنه واجه مظاهرات يناير١٩٧٧ بعنف وقسوة بل وتم اطلاق النيران فى المظاهرات وأخيرًا كيف وقع اتفاقية كامب دافيد مع إسرائيل ونسى دماء الآلاف من الشهداء، وهو أيضًا لم يحاكمه أحد، بل تم تكريمه ودفنه.

وبعد كل ذلك ألا نرى أننا نتحمل المسئولية الكبيرة فيما يحدث كشعب؟ وأننا لم نحاكم فاروق ولا عبد الناصر ولا السادات، فكيف نحاكم مبارك؟ وما جاء به مبارك من حسنات وسيئات لا تختلف كثيرًا عن من سبقوه من حكام ولهم حسناتهم وسيئاتهم، وإذا كنا لم نحاكم فاروق لأنه ملك مصر ولأنه كان يختلف مع الإنجليز وأنه لا يتحمل كل المسئولية فيما حدث لمصر فى عهده، وإذا كنا لم نحاكم عبد الناصر لأنه أمم قناة السويس وواجه أمريكا وإسرائيل وأنه لا يتحمل كل المسئولية فيما حدث فى عهده، وكذلك إذا كنا لم نحاكم

السادات لأنه صاحب قرار حرب العبور وأنه أراد لمصر عهدًا جديدًا وأنه لا يتحمل كل المسئولية فيما حدث فى عهده، فيجب كذلك ألا نحاكم مبارك لأن له دوره فى حرب العبور كقائد للطيران وأن مصر لم تدخل حروبًا فى عهده وأنه لا يتحمل كل المسئولية لما حدث فى عهده، وهكذا نكون منصفين، ولكن لا يعفينا ذلك من محاكمة رموز عهده محاكمة عادلة ومنصفة وأولهم رجال حكمه ورموزه.

إننى لا أدافع عن مبارك ولكننى أدافع عن مصر وأرجو لمصر كل الخير ولشعبها كل النصر والتقدم.

مبارك بين زعيمين :

كان الرئيس مبارك صورة مختلفة تمامًا عن سابقيه الرئيس عبد الناصر والرئيس السادات، ومن الظلم مقارنة مبارك بعبد الناصر أو السادات، فعبد الناصر رغم مساوئه إلا أنه كان زعيمًا شعبيًا له دوره فى الكفاح الوطنى، وكذلك السادات كان زعيمًا شعبيًا له دوره البطولى قبل الرئاسة وبعد الرئاسة ويكفى دوره فى حرب العبور ٧٣ الذى أثبت فيه أنه زعيم من طراز كبير، وبالتالى فمن الظلم لعبد الناصر والسادات تشبيههما بمبارك، وكذلك فإننا نظلم مبارك إذ نقارنه بعبد الناصر أو السادات فمقارنته بهما يجعله فى آخر الصف، ولكى نؤكد هذا الرأى نقرأ سويًا عن عبد الناصر والسادات.

الرئيس عبدالناصر (الصعيدى الذى خدعه الجميع):

لم يكن حدث النكسة في يونيو ٦٧ حدثًا عاديًا في تاريخ مصر الحديث بل إنه كان علامة فارقة إمتد تأثيره عبر عشرات السنين، ولا نكون مغالين إذا قلنا أن كل ما أصاب مصر في الثلاثين عامًا

الماضية من محن وأزمات كان بسبب نكسة يونيو ٦٧، فحجم الدمار الذي أصاب أرض الكنانة كان هائلاً وشاملاً. كانت مصر تعيش أسوأ عصورها سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، ويكفي الإشارة إلى هذا الحال لنقول أن الإبن كان يتجسس على أبيه والأخ كان يتبرأ من أخيه خوفًا من السلطة والجبروت، فقد كانت القيادة السياسية ممثلة في الرئيس عبد الناصر معزولة عن الشعب وتعيش تحت تحكم قائد المخابرات الذي حول الشعب إلى عبيد له وحول مصر إلى سجن حربي، وكانت القيادة العسكرية الفاشلة منذ حرب ٥٦ والمتمثلة في المشير عامر وأصحابه تعيش في عنتريات كاذبة وأوهام صورها لها الأفيون والحشيش الذي كان هو العملة الرسمية في الجيش المصري وكل ذلك كان بعلم عبد الناصر الذي اختار هذه القيادة وأيدها حتي يضمن أنها لن تنقلب عليه، والرئيس عبد الناصر الذي كان يعرف حجم القيادة العسكرية وقلة خبرتها وانتشار الفساد في الجيش هو الذي أمر بشحن القوات المسلحة إلى سيناء وذلك بعد عودتها مباشرة من حرب اليمن التي خسرت مصر فيها أعز رجالها وكل رأسمالها، وهكذا كان الرئيس عبد الناصر يتصور أنه بدخوله الحرب في ٦٧ سوف يتمكن من التخلص من المشير عامر وأعوانه وأن أمريكا سوف تقوم بإنذار إسرائيل كي تنسحب كما انسحبت في ٥٦، ولكن الزمان لم يعد هو الزمان وخسرت مصر شرفها وأعز أبنائها في حرب لم تحارب فيها، وإنما كانت لعبة خاسرة من ألعاب الزعيم ومن بنات أفكاره. ويبقي السؤال قائمًا من المسئول عن نكسة ٦٧ ؟ والإجابة الحقيقية هي أن الزعيم جمال عبد الناصر هو المسئول عن نكسة يونيو ١٩٦٧وتبقي الإجابة الوحيدة وهي أن الشعوب التي ترزح تحت حكم الجبابرة والديكتاتوريات والظلم

دائمًا ما تنتهي إلى هزائم ونكسات والتاريخ خير شاهد على ذلك وأن الشعوب التي تحكمها الحرية والديمقراطية هي الشعوب التي تنتصر دائمًا ، والعجيب أن هؤلاء الجبابرة من الزعماء و الذين تمسك بهم الشعب وانقاد إليهم، وكان في يدهم فرصة كبيرة للتقدم والازدهار لشعوبهم ولكن هيهات فالظلم والجبروت لا يلتقيان مع التقدم والازدهار.

وكأن عبد الناصر كان يمثل شخصية الصعيدى الذى خدعه الجميع، وكيف لا وقد خدعته الجماهير العربية عندما وجدت فيه صورة البطل الذى تحلم به منذ صلاح الدين فاستسلمت له واسلمته قيادها وهذا أول خداع، ثم خدعه أعدائه من إسرائيل وأمريكا وأوروبا حيث أوهموه أنه بطل لا ينهزم ونفخوا فيه كى يعيش الوهم ويستمر فيه حتى جاءت لحظة النهاية وآفاق الصعيدى فوجد أن كل شيىء ضاع منه بلا رجعة فلم يتحمل الصدمة ومات من أمراض الجسد الذى أوهنه كثرة الخدع، وثالثًا خدعه أقرب المقربين إليه حيث استثمر كل منهم قربه من عبد الناصر فأخذ ينهل من الغنيمة وهو متحصن بقربه من الزعيم، وأقرب مثل على ذلك هو الناصريون من أهل السياسة الذين عاثوا فسادًا فى مصر تحت مظلة الناصرية وعبد الناصر برىء منهم ولكنه لا يدرى ما يحدث من ورائه لأنهم خدعوه بحب الناس وبحمايته من اعداء الثورة واعداء النجاح ورابعًا فقد خدعه الروس وذلك باستغلالهم له واستسلامه لهم خصوصًا فى الستينيات من القرن العشرين حيث أجبروه على الارتماء فى أحضانهم كى يستطيع أن يواجه أمريكا ولكنهم استفادوا من ذلك بانتشارهم فى كل الوطن العربى والشرق الأوسط بسبب عبد الناصر، وخامسًا فقد خدعه منتفعى الناصرية حيث نسبوا إليه بعد وفاته ما لم يستطعه فى

حياته حيث أوهموا البسطاء من الجماهير العربية أن نكسة يونيو التى حدثت فى حياة عبد الناصر كانت بسبب المشير عامر وأن نصر أكتوبر ٧٣ والذى حدث بعد وفاة عبد الناصر بسنين كانت بسببه وخبرته وهو استمرار للخداع ولم لا وعبد الناصر كان تمثيلاً حقيقيًا للصعيدى الذى خدعه الجميع .

الرئيس السادات (الفلاح الفصيح):

إن ذكري ثورة التصحيح التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات في الخامس عشر من مايو ١٩٧١ تعتبر هى مفتاح شخصيته حيث قام في حركة واحدة ماكرة ومفاجئة بإقالة وعزل مجموعة على صبري وهم رجال نظام عبد الناصر، وذلك بعد ستة أشهر من وفاة عبد الناصر وانتخاب السادات رئيسًا لجمهورية مصر، وقد اختلف الناس حول هذه الحركة فمن مؤيد إلى معارض، وكعادة الرئيس السادات فإنه دائمًا كان يكتسب الأعداء والمؤيدين لكل قراراته وأعماله، ولما لا وهو السياسي الداهية الذي عرك دهاليز السياسة منذ صغره حيث تم القبض عليه وعزله من الجيش وسجنه ثم بعد ذلك يعود إلى الجيش ويشارك في ثورة يوليو ويكون أحد رجالها المشهورين، ثم بعد ذلك يرضى بدور بسيط في ظل حكم عبد الناصر حتي يحظى بثقة عبد الناصر فيكون هو نائبه الأول ويتم انتخابه رئيسًا وذلك بموافقة الجميع من رجال عبد الناصر وذلك لأنهم اعتقدوا أنهم سوف يقودونه ويحكمون من خلاله، ولكن هيهات فالسياسي الداهية لم يرض بدور الكومبارس ولكنه أراد دور الفتي الأول فكان ما كان بدون الخوض في تفاصيل الأحداث وبدون الانحياز إلى الكارهين للسادات والمؤيدين له فإننا وبحيادية نغوص في التاريخ ونتذكر الآتي، طمعًا في أن يغير الكارهون له من موقفهم وأن يتحقق المؤيدون له من

مواقفهم فنقول:

أولاً: شهد التاريخ أن السادات لم يكن مثل كل زملائه من مجلس قيادة الثورة مجرد ضابط جيش ثوري شارك في قلب الحكم ولكنه كان سياسيًا من طراز فريد وداهية تأكد أن أي ظهور مع عبد الناصر لا آمان فيه فقنع بدور المشارك مع عبد الناصر حتي أتته الفرصة بعد وفاة عبد الناصر فانفرد بالحكم.

ثانيًا: شارك الجميع في اعتلاء السادات للحكم بعد وفاة عبد الناصر طمعًا في السيطرة عليه واستخفافًا بالسادات ولكن السادات فاز عليهم بالذكاء والحنكة وتأكد ذلك من خلعه لرجال عبد الناصر وذلك بمؤازرة وتأييد هيكل ثم خلعه لهيكل، وهكذا يثبت أنه لا يرضي إلا بدور الفتي الأول.

ثالثًا: استعداده بصبر وحكمة وعدم الصخب والتهليل (الذي كان ثمة عهد رجال عبد الناصر) فقام باتخاذ قرار حرب أكتوبر والنصر فيه وبعد ذلك بتحرير مصر سياسيًا فتبدأ مصر عهد الأحزاب والديمقراطية بعد عشرات السنين من السجون والتعذيب.

رابعًا: أجاد السادات اللعب على المحاور فقام بالاعتراف بالدور العربي في معركة التحرير فقام بتأكيد علاقات مصر مع العرب وتجلي ذلك في موقف العرب من البترول ومعركة التحرير مع سوريا التي كانت أعظم صور الوحدة العربية الحقيقية.

خامسًا: فطن السادات لرؤيته السياسية المستقبلية لانتهاء دور الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بدور القطب الأوحد فقام باعادة علاقات مصر مع دول العالم ومع أمريكا ولعب لعبة التوازنات التي أثمرت الكثير في المنطقة

سادسًا: وكما فاجأ السادات إسرائيل بحرب العبور وانتصر فيها فقد فاجأ إسرائيل بهجمة السلام وانتصر فيها لولا تصاريف القدر التي لم تمهله حتى يتم تحرير كامل سيناء في الرابع والعشرين من إبريل ١٩٨٢ فقام بعض من أبناء التيار الإسلامي بقتل السادات في واحدة من أكثر قضايا قتل الرؤساء غموضًا وقد تكون أكثر غموضًا من قضية قتل الرئيس الأمريكي جون كيندي والتي حتى الآن لم يكشف الغطاء عنها.

إن المتابع لتاريخ السادات وسواء كان من المؤيدين له أو المعارضين له يتذكر شخصية الفلاح الفصيح التي وردت في البرديات الفرعونية وهو الفلاح الذي يعرف بفطرته كل شيء، وهنا فكل من يدرس تاريخ السادات لا ينكر ذكاء ودهاء السادات وخبرته الكبيرة بالسياسة، ولعل من باب التشبيه فقط نستطيع أن نقول: إن السادات في تعامله مع رجال عبد الناصر كان مثل الخليفة الأموي الأول "معاوية بن أبي سفيان" في تعامله من أتباع الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين وهو سيدنا علي حيث كان معاوية يجيد فن السياسة ودهاليزها، ورغم تعاطفنا مع سيدنا علي وآل البيت إلا أن التاريخ يشهد أنه في عصر معاوية بن أبي سفيان اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات الإسلامية اتساعًا لم يشهده التاريخ من قبل ومن بعد وهي شهادة للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، فاللهم أغفر لنا ولجميع المسلمين آمين.